

5

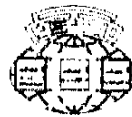
سلسلة روايات الشباب

الخصراء



الخصراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى

1988 -

حقوق الطبع محفوظة

للمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 40705 - 45565 - مبرق: 20032 - 20668

ص.ب: 80984 - طرابلس - الجماهيرية

شئ يفوق الوصف ذلك الفرح الذى
ملا دنيا الخضراء. كل شئ ينضح
بالحركة والحب والحياة. عادت الأغاني
تصيح فى سماء الحقول أيام الزرع
والحصاد. . . بعدما عاد أهالى الخضراء
ليعانقوا ذكرياتهم مع الأرض، يسقونها من
عرقهم المالح فتطعمهم من جناها
اللذيذ. عادت الأفراح إلى الخضراء،
تشهد كل صباح فرحة جديدة. كثرت

الأعراس والولادات، ومن غريب المصادفات أن عدداً من النساء ولدن توائم فى الأسبوع نفسه، قال محمود لصديقه حميد: الخصب عدوى والقحط عدوى والأرض تنقل عدوى الخصب إلى الإنسان، أجب حميد: بل الإنسان هو الذى ينقل الخصب إلى الأرض، هو الذى يعطى والأرض تتلقى، وإن لم تجد الأرض من يعتنى بها، ستصاب بالقحط، ضحك محمود وقال: لن نختلف على من يكون الأصل البيضة أم الدجاجة...! هناك من يقول بأن البيضة وجدت قبل الدجاجة وهنالك من يرى العكس وهو أن الدجاجة وجدت قبل البيضة...

كان حميد معروفاً بالعناد فقال جاداً: بل البيضة وجدت قبل الدجاجة... تنهد محمود وابتسم قائلاً: لا يهمنى من يكون

الأسبق، المهم أن أجد بيضاً أقلية ودجاجاً
أشويه . . .

قطع حديث الرجلين جلبة نقاش حاد
فى الغرفة المجاورة، حيث كانت زوجة
محمود راضية تتحدث مع زوجة حميد
صفية . قالت صفية: أنا لا أصدق، ما
تقولين إنه كذب بكذب، أجابت راضية:

احترمى ضيوفك هذا ما قالت أم
العريس، عشر ليرات ذهبية، وساعتان
ذهبيتان . . . و . . . ضاقت صفية ذرعاً
وصرخت: متى صارت الأفعى حمامة
سلام، ومتى صار اللئيم كريماً. ومتى
تحول الخنزير إلى . . . قاطعتها راضية
بالقول: إذهبي وسلى الناس فى
الخضراء، قلت اننى أنقل ما سمعته،
ولست كاذبة . . .

دخل محمود وصديقه حميد إلى الغرفة
المجاورة، وبادر محمود زوجته بالسؤال:

* علام هذا الصراخ... ما هي
القضية الكبيرة التي تختلفان عليها. ثم
تدخل حميد وأضاف موجهاً كلامه إلى
زوجته: وأنت يا راضية، ما شأنك
بالعريس والعروس والذهب. الناس أحرار
فى بيوتهم، قالت صفية بلهجة واثقة: إذا
قليل لكم إن أبا الذهب دفع نقوطاً لابن
فلان بمناسبة زواجه... هل تصدقون
ذلك... أجاب محمود: أنا لا أصدق لو
رأيت ذلك بعينى، ضحكت صفية بخبث
وقالت: صدق أو لا تصدق، أبو الذهب
قدّم هدايا ثمنية للعروسين، وليست هذه
المرّة الأولى التى يقدّم فيها أبو الذهب
الهدايا... وإن أردت التأكد من ذلك
فبإمكانك سؤال العريس نفسه، فرك

محمود جبينه بيده وقال: إن كان هذا الكلام صحيحاً يكون أبو الذهب قد أصيب بمس من الجنون، هذا كلام لا يقبله عقل إنسان عرف أبو الذهب أو سمع عنه... وعلى أى حال فلو قدم لى أبو الذهب كل ما يملك كهدية فلن أقبل منه شيئاً، ثم وجه كلامه إلى صديقه حميد ضاحكاً: هل تذكر يا حميد ذلك الكلام الذى حفظناه فى المدرسة ومطلعه:

برز الثعلب يوماً فى ثياب الصالحين
هذا الثعلب هو أبو الذهب نفسه، إنه
يلبس ثياب الصالحين، ويبدو بملمس
ناعم تماماً كالأفعى. لم يجب حميد
بكلمة واحدة، ظل صامتاً، خرج محمود
وزوجته مودعاً... قالت زوجة حميد
بصوت عالٍ تريد إسماع زائرتها التى لم
تكن قد برحت الدار بعد:

غريب أمر بعض الناس فى الخضراء،
إذا أخذ منهم أبو الذهب قالوا: هذا حقنا
وثاروا عليه وإن أعطاهم تساءلوا لماذا
يعطينا أو اتهموه بالجنون. . .

خرج أبو الذهب من عزلته إنساناً
جديداً. وصار حديث أبناء الخضراء
جميعاً وانقسم الناس فى فهم أبى
الذهب. أبو الذهب نفسه لم يدع مناسبة
تمر إلا وغمر أصحابها بالعطاء والهدايا،
قال يوماً وفى مناسبة زفاف أحد شباب
الخضراء: أنتم تعلمون أننى لم أرزق
أولاداً وأنا أعتبر أن أى شاب فى الخضراء
هو بمثابة ابنى، وما أقدمه لكم ليس
سوى دين لكم فى ذمتى. . . . إننى أكفر
عن السيئات التى اقترفها بحق أبناء
الخضراء مدير أعمالى مرتزق. . .

رزق حميد بمولود جديد فذهب

محمود وزوجته لتقديم التهاني . كان بيت حميد يعج بعدد كبير من أبناء الخضراء الذين قدموا للتهاني . . . كانت فرحة حميد كبيرة، فقد رزق بمولود ذكر بعدما أنجبت زوجته ست بنات على التوالي .

دخل مرشد مدير أعمال أبي الذهب إلى بيت حميد، ألقى التحية، ثم ابتسم ووجه كلامه إلى حميد قائلاً: باسمي وباسم سيدى أبى الذهب نتقدم بالتهاني لك ولزوجتك بالمولود الجديد، متمنين له العيش الرغيد تحت جناح حنان الأبوين، لقد كانت فرحة سيدى كبيرة، وقد أراد التعبير عن مشاركته لكم بفرحتكم بهذه الهدية. ثم قدّم كيساً من النقود الذهبية إلى حميد. . . لم يستطع حميد مقاومة إغراء أبى الذهب فتناول الكيس من مرشد وقال: شكراً لك ولأبى الذهب يا مرشد،

بلغ تحياتي وشكري لسيدك. حاول
محمود إخفاء غيظه فالتفت إلى مرشد
وسأله: كيف حال أبي الذهب، في هذه
الأيام؟ أجاب مرشد: أبو الذهب بخير
وعافية، يسأل خاطرك، وفي أول مناسبة
سيقدم لك هدية تليق بك. . . لم يستطع
محمود إخفاء غضبه فقال موجهًا كلامه إلى
مرشد من دون أن ينظر إليه: لو كانت
الحياة هدية من يد سيدك فلست مستعداً
لقبولها، أخبر سيدك هذا الكلام عن
لساني، ثم التفت إلى الحضور وتابع
حديثه: أبو الذهب يقدم السم ممزوجاً
بالدسم، وما يثير الأسف والحسرة أن
أهالي الخضراء بدأوا يأكلون الطعام
السام. . . اللهم استر الخضراء وأهلها من
لؤم أبي الذهب. . . ظلَّ مرشد صامتاً
فتابع محمود حديثه موجهًا كلامه إلى

مرشد: قل لسيدك أن حيلته لن تنطلي
على أحد من أبناء الخضراء وإن كان يفكر
بشراء الناس بذهبه فليفكر بغير هذا...
لم ينس الناس ولن ينسوا ما فعله أبو
الذهب بآبائهم وأجدادهم، حتى هذا
المولود الجديد الذي أراد شراءه وهو في
المهد سيجد من يقول له:

من لم يودّ جدّك لن يودّك...

لم يعر مرشد أي انتباه لكلام محمود،
ولم يجب بكلمة واحدة. ضاق صدر
محمود وصاح بأعلى صوته: تكلم يا
مرشد، أنطق، لماذا لا تجيب... هل
أنت أبكم... تكلم أيها الصنم.

لم يرق كلام محمود لحميد فقال:
اسمح لي يا أخي محمود بأن أقول لك
هذه المناسبة ليست للعتاب وإيقاظ

الأحقاد الدفينة فى النفوس ، أبو الذهب
غير سلوكه وتاب ، ومرشد لا علاقة له بما
حصل سابقاً بينك وبين أبى الذهب ، من
جهة ثانية ليس لك الحق أن توجه الإهانة
لأى إنسان فى بيتى احترم حرمة الضيافة .
هذا شىء لا يجوز. . . أيقن مرشد أن
بذرة الخلاف قد وقعت بين حميد ومحمود
فوقف مودعاً وقال مخاطباً حميد : شكراً
لك على الإهانة التى وجهت لى فى
منزلك ، وعلى أى حال فأنا أقبل الإهانة
إذا قبلتها أنت يا أخى حميد. . . قال ذلك
وخرج مسرعاً. . .

بعد انصراف مرشد نظر حميد إلى
محمود وخاطبه بلهجة جافة : هل يرضيك
ما سمعته من كلام . كان بإمكانك أن تذهب
إلى أبى الذهب وتقول له هذا الكلام فى
بيته ، كان بإمكانك أن تلتقى مرشداً فى

الشارع وتقول له ما تشاء. تدخل أحد
الحضور وقال: إهانة الضيف فى أعرافنا
تعتبر إهانة لصاحب البيت. تدخل أحد
أقارب محمود وردّ على الرجل بالقول: لا
تجوز إهانة الضيف إذا كان من البشر،
ومرشد وسيده ليسا من جنس البشر بل هما
من الشياطين. . . . أحد أقارب حميد ثارت
ثأثرته والتفت إلى من سبقه بالحديث وقال
بصوت آمر: بيوتنا ليست مضافاتٍ
للشياطين، ومن يشرب قهوتنا يكون من
البشر، احترم نفسك. . .

تطور النقاش وانقسم الحضور إلى
فئتين: فئة مع أبى الذهب وفئة ضده. . .
ارتفعت الأصوات بالتهديد والوعيد،
واختلط كلام الرجال، وطار صواب حميد
عندما سمع عبارة: أبو الذهب اشتراكم
بالمال. . . فنظر إلى محمود قائلاً: أخرج

من بيتي ، هذه هديتك احملها وأمشي ، ثم
قذف في وجه صديق العمر ثوباً من
الحرير المطرز حمله محمود هدية للمولود
الجديد... خرج محمود وهو يقول:
الآن عرفتك يا حميد... الآن عرفت أن
الذهب بنظرك أغلى من الإنسان... كان
محمود يردد وهو يسير نحو بيته : لقد نجح
أبو الذهب ، فاز أبو الذهب..



انتشر خبر خلاف حميد ومحمود في
الخضراء انتشار النار في الهشيم ، وانقسم
الناس بين مؤيد لحميد وبين مؤيد
لمحمود ، قال أحد أبناء الخضراء يوماً
لمحمود : أنا معك وضد حميد ، أجاهه
محمود حميد ليس عدونا... عدونا أبو
الذهب ، حميد وغيره أدوات يستعملها
هذا اللعين لتنفيذ أغراضه .

بعد أيام استدعت زوجة حميد ابنتها
البكر وضحا وقالت لها:

* اسمعى يا وضحا، والدك يطلب
إليك فسخ الخطوبة مع خالد بن محمود،
أبوك طلب إلى أن أنقل إليك هذا الأمر،
نفذى أمره اليوم وفى أقصى سرعة
ممكنة . . .

خالد بن محمود ووضحا بنت حميد،
ولدا فى اليوم نفسه، وترعرعا يلعبان معاً،
وعندما كانا فى الثالثة من عمريهما قال
خالد لوالد وضحا: هل تزوجنى وضحا يا
عمى حميد، ضحك محمود وحميد
كثيراً، لكن وضحا هى الأخرى سألت
محمود: وأنت يا عمى محمود هل
تزوجنى ابنك خالد . . . بعد هذه
الحادثة، اتفق محمود وحميد على تزويج

خالد من وضحا عندما يكبران . . . وقرأ
الفاتحة . . . تحول حب وضحا وخالد إلى
حكاية على ألسنة شباب الخضراء
وصباياها معظم شباب الخضراء كانوا
يلتقون بفتيات أحلامهم سراً، ما عدا
وضحا فقد كانت تلتقى بخالد علناً، في
ساحة الخضراء، وخلال نزهة المساء في
الشارع الرئيسي وكانت تحرض الفتيات
على لقاء الشباب في العلن وليس
سراً . . .

كان والد وضحا حميد ووالد خالد
محمود قد التقيا في الشارع من دون أن
يتبادلا التحية، وفي مساء اليوم نفسه
التقت وضحا بخالد، بعدما طلبت منها
أمها قطع علاقتها به .

كان وجه وضحا كزهرة أدركها الصقيع



فذبلت قبل أوانها، بدت عيناها كدمعتين
كبيرتين .

مساء الخير يا خالد: خرجت هذه
العبارة من فم وضحا وكأنها دمٌ يخرج من
جرح نازف... وتابعت بصوت يشبه
الحشرة: انتهى ما بيننا يا خالد، أحبك
وسأبقى على حبي لك. لكنها إرادة
القدر. سامحني يا حبيبي... ولم تستطع
حبس دمة سقطت على خدّها. تناول
خالد منديلَه ومسح دمة وضحا. ضمّها
إلى صدره وقال لها: هذه إرادة والدك،
سحبت وضحا نفسها من بين ذراعي خالد
قائلة: أرجوك... أرجوك اتركني.
ومضت دون أن تستطيع حبس دموعها،
وما أن ابتعدت بضعة أمتار حتى التفتت
إلى خالد وقالت: سامحني يا خالد. لن
تراني بعد اليوم. إلى اللقاء يا وضحا...

قال خالد ذلك وبعدهما سمع وقع أقدام،
التفت فإذا القادم حميد والد وضحا...
قال حميد: إسمع يا خالد، كنا أصدقاء
وانتهت الصداقة بيننا إياك أن تعترض
طريق وضحا بعد اليوم... سأل خالد:
لماذا يا عم حميد، ردّ حميد وهو يدير
ظهره لخالد: إسأل والدك، فمن لم يودُّ
جدك لن يودك...

بعد أيام كان محمود وحميد يعملان فى
بستانيهما المتجاورين. وعلى بعد بضعة
أمتار، دون أن يكلم أحدهما الآخر، حتى
ودون أن يلتفت أحدهما للآخر... مرَّ
غزال بين حميد ومحمود ولكن أحداً لم
يطلق عليه الرصاص، قال محمود لو
أطلقت عليه الرصاص فسأرديه داخل
بستان حميد، ولست مستعداً لدخول

أرضه من أجل غنائم الدنيا كلها، وقال حميد نفس الكلام .

انتشر الخبر فى الخضراء أن الغزال يرعى بين حميد ومحمود . . . كانت حدود ملكية الأراضى والبساتين فى الخضراء اصطلاحية ، حجر أو صخرة ، أو شجرة ، هذه المعالم كانت تفصل بين هذا البستان أو ذاك . لكن حميد أراد قطع أى صلة بمحمود فبدأ يوضع الأسلاك الشائكة على الحد الفاصل بين البستانين . بعد أيام ذهب محمود لتفقد بستانه فوجد أن حميد اعتدى على أرضه وضم قسماً منها إلى أراضيه . حاول محمود تسوية خلافه مع حميد بشكل مباشر، حيّاه فلم يلق جواباً، ولم يرد حميد على التحية بمثلها، لذلك لجأ محمود إلى الوسطاء وإلى حكم شيخ المحلة وقدامى الفلاحين الذين يعرفون

حدود ملكيات الأرض... جاء التحكيم عادلاً لمصلحة الطرفين المتخاصمين، فالأرض موضوع الخلاف تقسم مناصفة بين محمود وحميد لكن حميد رفض التحكيم وقال: هذه أرض أبى عن جدّى... كان أهالى الخضراء قد أناطوا بلجنة منهم فض النزاعات حول حدود ملكية الأراضى... وكان تم الاتفاق على أن لا تكون الأرض ملكاً لأحد، بل لمن يزرعها. لكن الخلاف بين حميد ومحمود تطور ووصل إلى داخل اللجنة نفسها... وسمع صوت يقول: نعود إلى صكوك البيع والشراء التى وقعناها عندما بعنا الأرض لأبى الذهب.

طرق باب أبى الذهب من جديد.
كان أبو الذهب قد حدد مساحة

الأراضى التى اشتراها من أصحابها
بصكوك البيع وقد بقيت هذه الصكوك فى
حوزة أبى الذهب بعدما استرد الناس
أراضيهم احتكم حميد ومحمود لدفاتر أبى
الذهب القديمة، وكان الحكم لمصلحة
حميد، لكن محمود أصرَّ على القول: أنا
الذى زرعت الأرض، وغرست الأشجار،
وقد اتفقنا فى الخضراء على أن تكون
الأرض لمن يزرعها، جاء ردَّ حميد أكثر
تطرفاً فقال: لو لم يضم محمود أرضى إلى
أرضه ويغرسها، لكنت غرستها وزرعتها.
وبإمكان محمود اقتلاع الأشجار التى
زرعها فتعود الأرض لمن ورثها، صاحبها
الفعلى.

كان أبو الذهب يراقب من بعيد كل ما
يجرى فى الخضراء، وكان لا يترك فرصة
إلاَّ ويصبَّ الزيت على نار الفتنة، وذات

مساء قال لمدير أعماله مرشد: سأحكم
الخضرء كما أشاء وبإرادة ووساطة أهالى
الخضرء... لقد تعلمت كيف أستطيع
السيطرة على الناس، تعلمت من أخطائى
السابقة، فرّق تسد يا مرشد، فرّق بين
الجار وجاره بين الأخ وأخيه بين الابن
وأبيه، بين الزوج وزوجته، وبين الحبيب
وحبيبتة.

كثرت الخلافات فى الخضرء حول
حدود الأرض، ولم تكن بضعة أمتار من
الأرض هى سبب الخلاف بين الجار
وجاره والأخ وأخيه، فهذه الأمور كانت
تعتبر من الصغائر فيما مضى، لكن أبا
الذهب استطاع تغذية الأحقاد. بعدما
سقاها من لؤمه وحقده على الخضرء
وأهلها... كان تدخل أبى الذهب دائماً
لزراع الخلافات. حتى إذا لمح بارقة

صلح بين متخاصمين أغرى أحدهما
بالمال لينشب الصراع بينهما من
جديد. . . . سأله يوماً مدير أعماله مرشد:
على أى أساس تحدد موقفك من
المتخاصمين فأجاب أبو الذهب: ما
يهمنى أن يبقى الناس منقسمين، لن
أسمح لأهالى الخضراء بأن يكونوا يداً
واحدة، رسمت الطريق إلى ذلك، وها
هم جميعاً يسرون عليه. . . .

ظلت وضحا بنت حميد تقف إلى نافذة
غرفتها، مقابل نافذة خالد بن محمود. منذ
التقيا فى آخر مرة. كانت تكتفى وضحا
برؤية خالد يطل من نافذته فيلوح لها
بيده، فتبادله التحية. وتغلق النافذة وتعود
إلى تدبير أمور المنزل. كانت تعيش على
أمل أن تزول الخلافات بين والدها ووالد
خالد، ذات يوم وبينما خالد يقف إلى



النافذة مقابل وضحا. دخل والده وكان
خالد يلوّح بيده... قال محمود لابنه
خالد: هل ما زلت على حبك لابنة حميد
ألم تطلب منك أن تلغى الخطوبة، ألم
يطلب إليك والدها أن تترك ابنته، وشأنها،
ألست رجلاً يا خالد... عيب عليك أن
تجرى وراء امرأة رفضتك خطيباً لها، أم
إنك طامع بهدية من صديق والدها أبي
الذهب... لم يجب خالد بكلمة واحدة،
لكن نافذة غرفته لم تعد تفتح منذ ذلك
اليوم. ولم تدخل الشمس إلى الغرفة في
الأمسيات.

لم يصدق حميد عينيه عندما وصل إلى
بستانه في صباح ذلك اليوم من شهر
«يوليو» الخراب في كل مكان، الغرسات
اقتلعت من الأرض، والأشجار كسّرت

أغصانها بشكل وحشى ، كأن جيشاً من
الغزاة مرّ من هنالك وعاث بالأرض
فساداً... قال حميد بصوت عالٍ وأمام
عدد كبير من الرجال فى ساحة
الخضراء... أنا أعرف عدوى، هذا
الذى أراد الثأر منى فقتل كل شيء أخضر
فى بستانى... وبعد أيام كانت الأشجار
فى بستان محمود قد اجتثت من
أصولها...

توالت النكبات على الخضراء، أطلقت
رصاصة من مسافة بعيدة على حصان
محمود بينما كان يرعى فى المرج فسقط
صريعاً... كان حصاناً أبيضاً من خيرة
الخيول الأصيلة فى الخضراء تلا ذلك
مباشرة العثور على فرس حميد مشنوقة فى
الشجرة التى ربطت إلى جذعها... كل
يوم يحمل خراباً جديداً فى أرزاق

المتخاصمين . . . حقول تخرب فيكون
الرد تخريب حقول أخرى، ناقة تنحر
وتترك وليمة للكلاب والذئاب، فينحر
مقابلها بعير لخصم صاحب الناقة، لكن
الغريب أن معظم الذين كانت توجه إليهم
هذه التهم كانوا يقسمون أنهم أبرياء، فقد
أقسم محمود أمام شيوخ الخضراء بأنه لم
يدخل بستان حميد ولم تمتد يده إلى
غرسة أو شجرة فيه، وعندما اتهم حميد
بتخريب بستان محمود، أقسم نفس القسم
حتى أنه قال لزوجته، هناك طرف ثالث
يغذى الأحقاد بيني وبين محمود.

في كل مرة كان يتعرض أحد أبناء
الخضراء لنكبة في بستانه أو ماشيته أو
مركوبه كان أبو الذهب يسارع إلى
معارضيه ومناصريه. فعندما خرب بستان
حميد، أرسل له أبو الذهب مبلغاً كبيراً من

المال، حملها مرشد إلى حميد وقال له :
سيدى أبو الذهب يسلم عليك ويقول
لك : إن كنت بحاجة للمزيد من المال فهو
مستعد لإرساله إليك . . . وبعد أيام فعل
الأمر نفسه مع محمود، لكن محمود رفض
المساعدة وقال لمرشد : قل لسيدك أبى
الذهب، محمود لا يشتري ولا يباع.

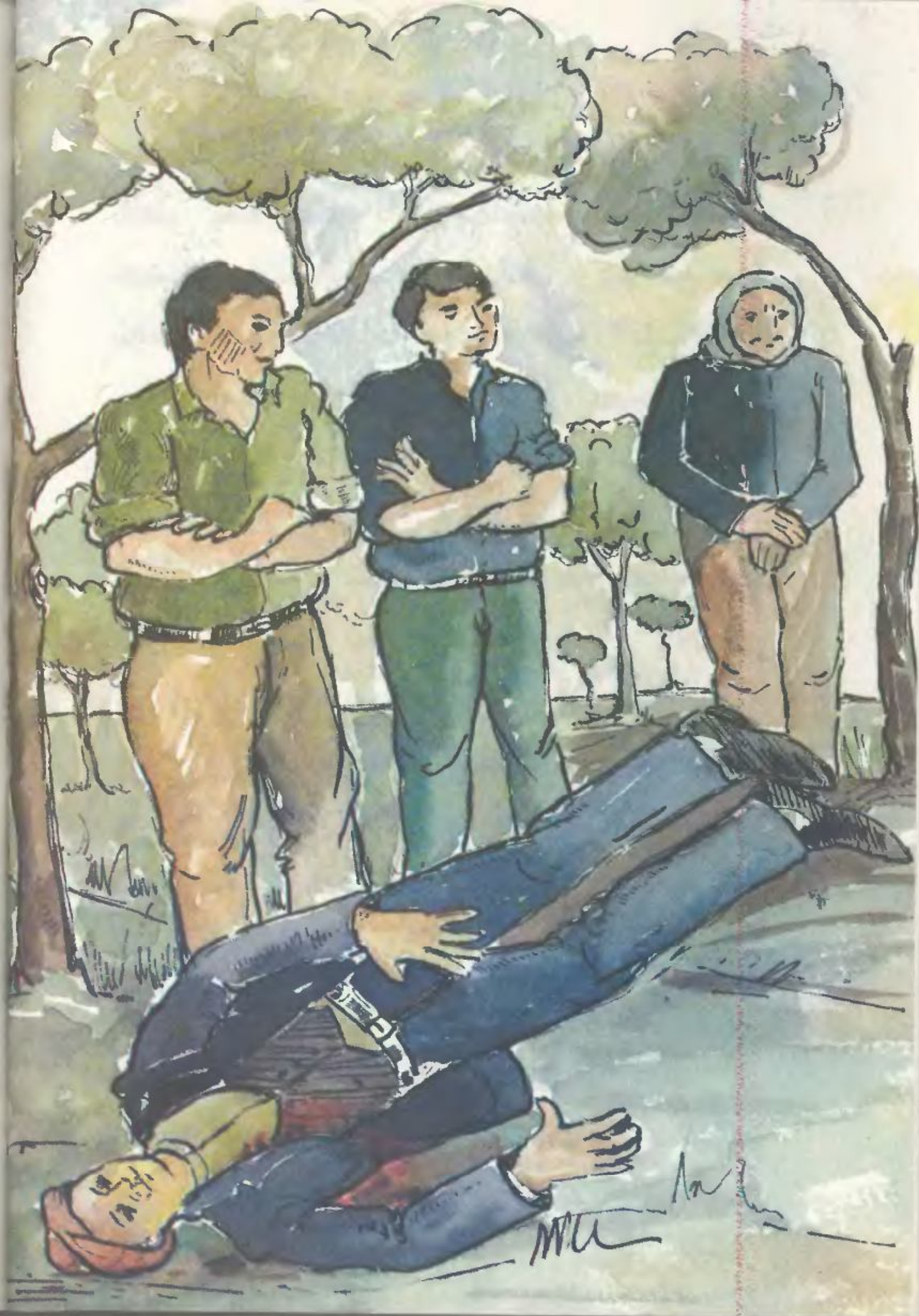
إن كنت تحسب يا محمود أن يدى
قصيرة عنك فالأيام تنقلبُ
إن الأفاعى وإن لانت ملامسها
عند القلب فى أنيابها العطبُ

لم تستطع الأيام محو هذه الكلمات .من
ذاكرة محمود . يوم قالها له أبو الذهب يوم
قال محمود : الأرض لمن يزرعها .
والأرض ليست ملكاً لأحد . . .

لم يعرف أحد من أهالي الخضراء من
الذى ارتكب تلك الجريمة، فقد وجد
محمود فى بستانه جثة هامة . كانت الجثة
مصابة بعدة طلقات ومن مسافة قريبة، كان
من البديهي أن توجه أصابع الاتهام إلى
حميد . لكن حميد طريح الفراش، فقبل
أيام حمل حميد إلى البيت غائباً عن
الوعى بعدما هاجمه جمل حاقد عليه،
وأشبعه رفساً وعضاً، وقد كسرت رجله
ويده ونجا من الموت بأعجوبة، هذا الأمر
يعرفه أبناء الخضراء جميعاً . . . أصر
أقارب محمود وأبناء عشيرته على الأخذ
بالتأثر، وقالوا لا بد أن يكون مرتكب
الجريمة أحد أقارب حميد . . . كانت
العلاقة بين عشيرة حميد وعشيرة محمود
حسنة، وقامت بين العشيرتين عدّة
مصاهرات، حتى أن محموداً كان

يلاقى تجاوباً من أشقاء حميد، فكان إذا
التقى به أحدهم بادره بالتحية والسؤال عن
صحته وصحة عياله وأبنائه، وكم من مرة
تدخلوا لفض نزاعاته مع حميد. كان خالد
بن محمود يعرف هذه الأمور، سمع من
أبيه مرّات عديدة عبارة طالما ردّها،
حميد بن عشيرة ممتازة، خير الأخوة
والأقارب. لكن لا قمح من دون
زُوان....

اجتمع المصلحون من العشيرتين وقرر
أقرباء حميد دفع الدية حقناً للدماء، قال
أخ حميد نحن أبرياء من دم محمود، لكننا
سندفع الفدية حقناً للدم، وحتى لا نفسح
المجال للمفسدين ليوقدوا نار الفتنة بين
عشيرتين... ثم تحدث أخ حميد الأكبر
موجهاً كلامه لخالد: أعلم يا خالد إن
والدك كان من خيرة رجال الخضراء، وهو



خسارة لنا جميعاً، ولكى نطوى صفحة
أحقاد الماضى إلى الأبد، فلا بد أن نعيد
عرى وروابط الصداقة كما كانت فى
الماضى، وقبل الخلاف بين أخى حميد
والمرحوم والدك أخونا جميعاً، لا بد من
تزويجك من وضحا ابنة أخى، خطيبتك
والتي ما تزال تحفظ لك الحب والوفاء،
وأنا مسؤول عن تكاليف العرس وتجهيز
العروس.

كان يدرك خالد فى قرارة نفسه، أن
أقارب حميد أبرياء من دم أبيه، لكنه رغم
ذلك رفض العرض الأول، وهو الفدية،
وسكت عن العرض الثانى . . . وعندما
تذكر كلام أبيه عاد بعد ثانية ورفض الزواج
من وضحا . . . تذكر خالد كلام أبيه . . .
عيب أن تجرى وراء فتاة رفضتك خطيباً
لها أم أنك طامع فى مال أبى الذهب . . .

مرّت الأيام، ونافذة خالد مغلقة، وعينا
خالد لا تنامان شوقاً . . .

كانت وضحا عائدة من حقل أبيها فى
أول الليل، تجر أخاها الصغير الوحيد
وفجأة ظهرت مجموعة من الرجال
المقنعين، هاجموا وضحا . . . أخذوا
الطفل وذبحوه أمام ناظريها، وفروا إلى
جهة مجهولة، وفى الليلة نفسها وبعد
ساعة من هذه الحادثة أطلقت النار على
خالد بن محمود فأصيب إصابة خطيرة
أصيب بنتيجتها بشلل دائم أما وضحا فقد
أصبحت نتيجة الصدمة التى تعرضت لها
بالجنون . . . وحدها وضحا كانت تعلم أن
خالداً برىء من دم أخيها وخالد هو الوحيد
الذى كان يعرف أن أقارب وضحا وأهلها
أبرياء من دمه ودم أبيه .

تكررت حوادث القتل والاغتيال فى
الخضرء، حتى تحولت الخضرء إلى
أرض قفرء، فقد أحس كل رجل فى
الخضرء بأنه هدف للقتل، فأهمل الناس
حقولهم ولازموا بيوتهم لا يخرجون إلا
لقضاء حاجاتهم من المأكـل والمشرب،
حوادث اغتيال عديدة حدثت بقى فاعلوها
مجهولين. حدث ذات يوم أن اختلف
الطلاب داخل المدارس، واشتبكوا
بالأيدي، ثم انتقل الخلاف إلى الخضرء
فاشتبك شبابها بالأيدي والعصى والأسلحة
فوقع عدد كبير من القتلى والجرحى،
وحين حاول المصلحون من عقلاء
الخضرء وشيوخها فض النزاعات بين
المتخاصمين نالوا نصيبهم من الضرب
والإهانات حتى من أقاربهم قال أحد
العقلاء لصديقه: الآن عرفت معنى كلام

محمود، نعم، فاز أبو الذهب وسقط
الأهالى فى الحفرة التى حفرها لهم.

ماذا نفعل؟ إلى أين نحن سائرون؟
كيف الخلاص من هذا الجحيم، أسئلة
على كل شفاه من فى الخضراء..

مرة ثانية طرق باب أبى الذهب. ماذا
نفعل يا أبا الذهب! الحياة لم تعد تطاق
فى الخضراء قال أبو الذهب لأهالى
الخضراء الذين جاءوا يستشيرونه فيما آلت
إليه أوضاع بلدهم: عليكم بإيجاد قوة
نظامية لحفظ الأمن، وأضاف اختاروا
ممثلين عنكم يتباحثوا فى كيفية تنظيم أمور
الخضراء... أجاب أحد المتقدمين فى
السن: كل واحد منا يمثل نفسه والأمن
مسؤوليتنا جميعاً، ولا نريد
من يمثلنا، ضحك أبو الذهب وقال

بسخرية: إذا كنتم تمثلون أنفسكم، فما الذى جاء بكم إلى، اذهبوا وتدبروا أموركم وأضاف: تمثيلكم لأنفسكم أوصلكم إلى ما أنتم فيه من الفساد والقتل والإجرام... صاح بعض الرجال الذين عرفوا بولائهم لأبى الذهب: أبو الذهب وحده قادرٌ على مساعدتنا... من منّا... نحن الحضور لم يتلق مساعدة من أبى الذهب...

كان ما أراده أبو الذهب، ففي اليوم الثانى عقد اجتماع حضره ممثلون عن أهالى الخضر، وتم الاتفاق خلاله على تأسيس قوة أمنية من أبناء البلد تناط بها مهمات حفظ الأمن وفض النزاعات بين المتخاصمين.

لعب أبو الذهب الدور الرئيسى باختيار هذه القوة، اختار أفرادها من أبناء أنصاره

ومعاونيه ولكنه وليبقى بعيداً عن الأضواء
عين رئيسها من أحد المقربين إليه ومن
عمالئه السريين . . . بعد فترة وجيزة كان
رجال الأمن يجوبون شوارع الخضراء
وحقولها يعملون على قمع المخالفات،
كانت التعليمات إلى رجال الأمن تقضى
بأن يكونوا منحازين للقانون فقط، وليس
للأسرة أو العائلة أو العشيرة، وأن عليهم
تنفيذ أوامر رؤسائهم فقط، وكان مصدر
كل أمر أبو الذهب نفسه.

بدأت القوة الأمنية بممارسة المهمات
المنوطة بها، فاعتقلت بعض المخليين
بالأمن العام والمشايخين وبدأت
الاعتقالات لأتفه الأسباب، كان من بين
المعتقلين شاب ألقى القبض عليه ليلاً،
بسبب الغناء بصوت عالٍ . . . كان الشاب
يسير في شارع الخضراء الرئيسى يعيد

لحناً قديماً غنَّاه أهالى الخضراء فى
انتصاراتهم على أبى الذهب... ألقى
القبض عليه بحجة إقلاق راحة
المواطنين.

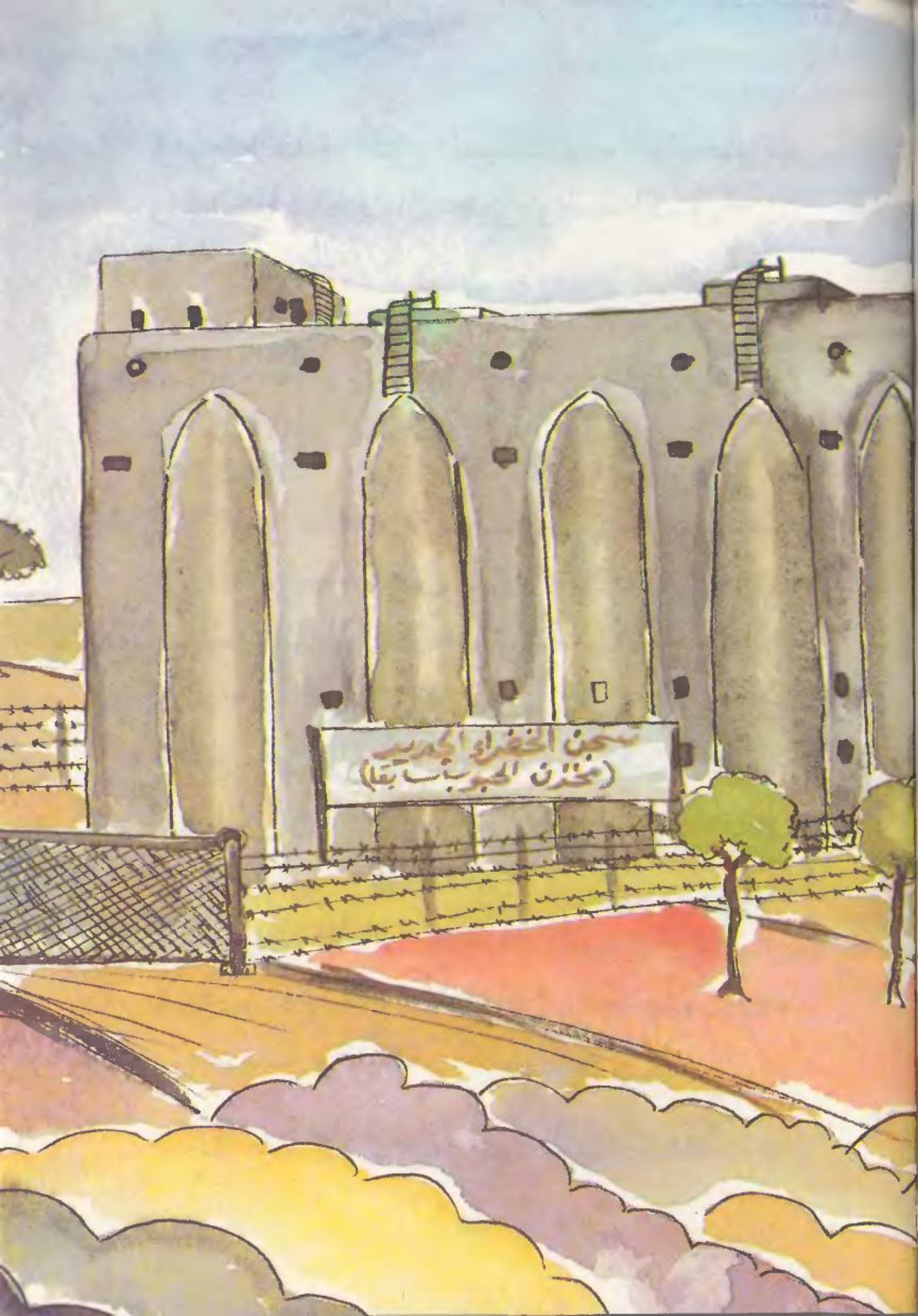
رفعت لافتة على باب مخزن الحبوب
تحمل عبارة «سجن الخضراء
الجديد»...

لم يكن أهالى الخضراء قد عرفوا
السجن من قبل... كان شيخ القبيلة هو
الحكم فى المنازعات والخلافات، كان
يمثل أخلاق الجماعة ويمون على جميع
أفراد قبيلته أو عشيرته، حتى إذا قام أحد
أبناء القبيلة بعمل يسيء إلى أخلاق
الجماعة، حكمت عليه القبيلة بالنفى
ورفعت عنه حمايتها، فيصبح مهدور
الدم. ويقضى حياته غريباً خائفاً...

الغربة والخوف الدائم، أكبر قصاص
يمكن أن يلقاه المذنب هكذا كانت
الأحكام قبل أن ترفع لافتة «سجن
الخضراء الجديد».

«العدل أساس الملك» عبارة أخرى
رفعت فى إحدى قاعات قصر أبى
الذهب.

قال أبو الذهب لمرشد: لكى أؤسس
ملكى الذى أحلم به لا بدّ من تدمير
العلاقات جميعها. علاقات الأسرة
وعلاقات العائلة والعشيرة والقبيلة، ولن
أسمح لأهالى الخضراء بحل أى مشكلة
خارج هذه القاعة. أصبح أبو الذهب
المرجع لشكاوى أهالى الخضراء... هذا
يشكو اعتداء جاره على أملاكه، وذاك
يسأل عن ابنه الذى أودع السجن...



وعن المدة التي سيقضيها، والجواب
واحد... بعد التحقيق والمحاكمة.

محكمة... بدأ المتهمون يمثلون أمام
محكمة أبي الذهب

* دخل المتهم الأول

* لماذا كنت تغنى فى ساعة متأخرة من
الليل، ألا تعلم أن فى ذلك إقلاق
لراحة الآخرين؟

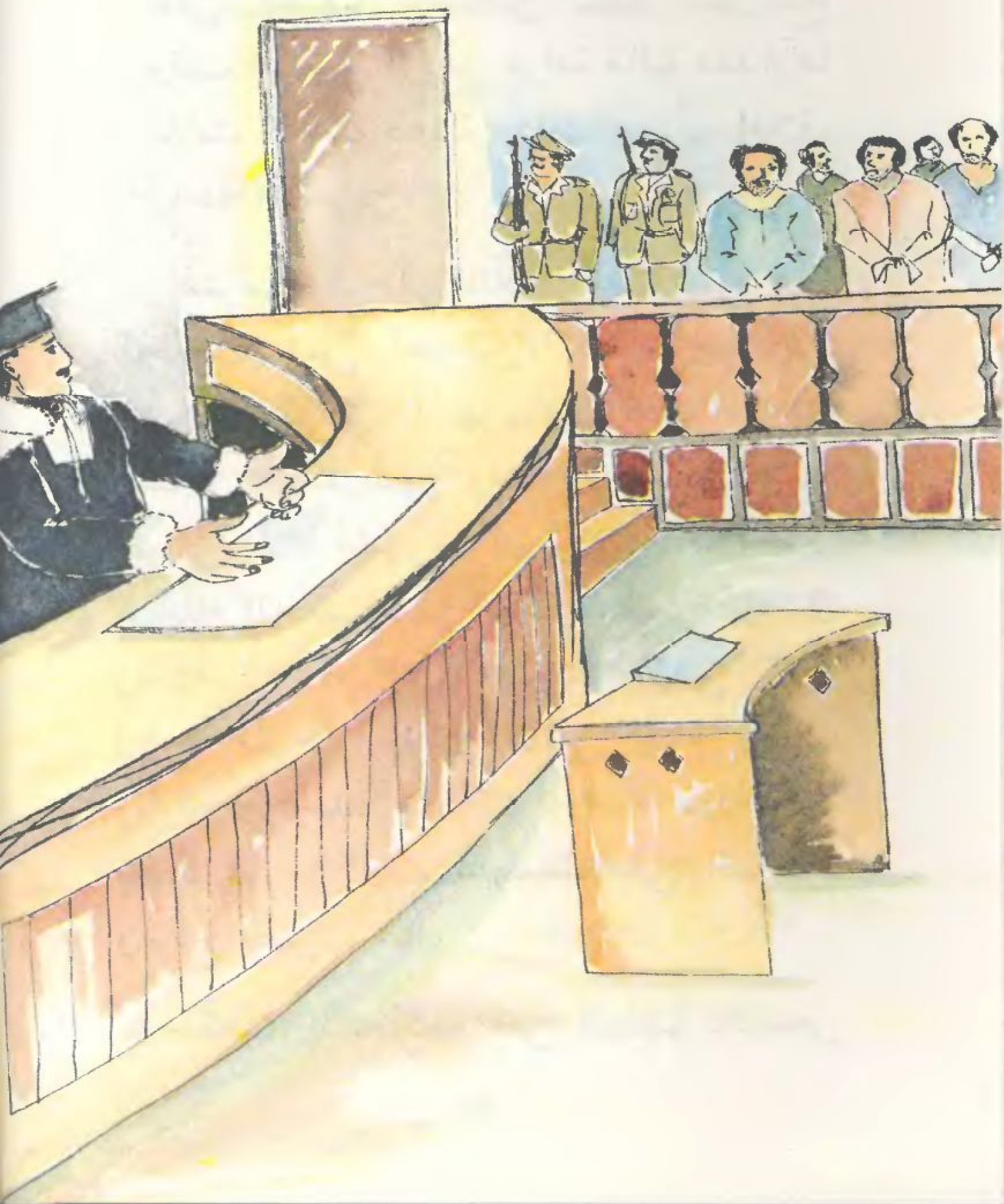
* لم تكن الساعة متأخرة. كان الليل لا
يزال فى أوله. ثم أن أحداً من أهالى
الخضراء لم يعترض على غنائى
تذكرت الأيام الجميلة التى عشناها فى
حب ووئام وأشجاني الشوق إليها
فطربت وغنيت.

وقف أحد رجال أبي الذهب وقال:

* باسم شعب الخضراء حكمت المحكمة
على المتهم بالسجن لمدة شهر مع
وقف التنفيذ. ودفع غرامة مالية مقدارها
ثلاث ليرات ذهبية وذلك بسبب إقلاق
راحة الآخرين. . . .

اعترض الرجل قائلاً: أنا أرفض هذا
الحكم، إننى أعترض، أنا موجود فى
السجن منذ ثلاثة أشهر، وإن كنت استحق
السجن لمدة شهر واحد. فلماذا قيّدت
حريتى ثلاثة أشهر أنا لم أقلق راحة أحد،
يا أبناء الخضراء من منكم يتهمنى بإقلاق
راحته. . . أم إننى سجت لأننى كنت
أزرع الفرح، وأذكر الناس بأيام الحب
والوئام. وهذا ما أقلق راحة دولة أبى
الذهب. . . ثارت ثائرة القاضى المزعوم
وصاح بصوت عالٍ:

* حكمت المحكمة على المتهم بالسجن



لمدة ستة أشهر بسبب توجيهه الإهانة
إلى الدولة والشك في عدالة القضاء،
ينفذ الحكم فوراً.

دخل المتهم الثانى .

* لماذا سمحت لقطعانك بالدخول إلى
حقول الآخرين، فهذا اعتداء على
أملك الغير وهو مخالف للقانون.
أجاب الرجل .

* عندما تدخل المواشى إلى حقل، فهى
لا تستأذن الراعى، وهى لا تفهم
بالقوانين، ثم إن صاحب الحقل لم
يقدم أى شكوى بحقى . أجاب القاضى
المزعوم :

* إن تنازل صاحب الحق، فإن الحق
العام يبقى قائماً، وإن تراضيت أنت
وصاحبك، فإن العدل لا يرضى . . .

باسم الشعب: حكمت المحكمة على
الجاني بالسجن لمدة أسبوع وتغريمه
خمس ليرات ذهبية... لم يجرؤ
الرجل على الاعتراض بعدما رأى ما
حلَّ بمن سبقه بالاعتراض... قبل
الظلم على مضض.

دخل المتهم الثالث

* لماذا كنت تحتفظ بسلاحك بعد صدور
قرار جمع السلاح من أهالي الخضراء،
أنت متهم بالتآمر على سلامة الدولة،
رجال الدولة يسمح لهم بحمل السلاح
فقط، لا بدَّ أنك كنت تفكر باستعمال
السلاح ضد أحد أبناء الخضراء.

* كنت أحتفظ بالسلاح، لأن السلاح من
حق الجميع. وليس حكراً على فئة دون
أخرى. كنت أحتفظ بالسلاح للدفاع

عن نفسى . ضد الظلم والظالمين . ضد
الغزاة والمستعمرين .

✽ هناك قوة نظامية أنيطت بها مهام حفظ
النظام . وأى سلاح آخر هو للاعتداء
على أمن الجميع باسم الشعب فى
الخضراء حكمت المحكمة على
المخالف بالسجن لمدة ستة أشهر .
ودفع غرامة مالية مقدارها عشر ليرات
ذهبية ومصادرة سلاحه . . . وفى حال
امتناعه عن دفع المال يقضى مدّة فى
السجن كبذل عن المال .

أدخل الرجل الرابع . . [قلّب القاضى
المزعوم أوراقاً كانت أمامه ، ثم أعاد
تقليبها مراراً . فبدا مرتبكاً لكنه سرعان ما
رفع رأسه] وقال للمتهم : لماذا أنت فى
السجن ؟

* لا أدري . ألقى القبض علىَّ وأدخلت
السجن مع خمسة من أبناء الخضراء ،
كان ذلك فى اليوم الذى تاهت فيه ناقة
أحمد ابن محمد ، عادت الناقة إلى
أصحابها بعد أيام من إلقاء القبض علىَّ
وعلى الخمسة الآخرين . مضى على
وجودنا فى السجن سنة ، من دون أن
يسألنا أحد لماذا أنتم هنا . . . !

* باسم الشعب حكمت المحكمة
ببراءتك .

* والمدة التى قضيتها فى السجن مسلوب
الحرية .

* عند تطبيق العدالة لا بدَّ من وقوع أخطاء
تؤدى إلى ظلم بعض الأبرياء . . .

* كلنا أبرياء . . . وأنت المجرم الوحيد
لأنك وسيدك أبو الذهب وزبانيته تقتلون

الخضرء وتغتالون الحب والحرية
ووحدة الناس فيها. . .

* باسم الشعب فى الخضرء، حكمت
المحكمة على المتهم بالسجن ثلاث
سنوات. . .

«دائرة الإحصاء والضرائب» لافتة
جديدة رفعت فوق مكتب أبى الذهب
القديم. كل الذهب الذى وزعه أبو
الذهب على أهالى الخضرء خلال
سنوات أخذه منهم فى شهر واحد. . .
ضرائب على كل شىء ضرائب على
الأرض والمنازل والمواشى والصحة
والتعليم وكل يوم يحمل ضريبة جديدة.
ومن يتخلف عن دفع الضرائب يزج به فى
السجن. . . والأموال التى تجمع من

أهالى الخضراء تذهب إلى الخزينة،
ومفاتيح الخزينة فى حوزة أبى
الذهب...

باسم الشعب زوراً وبواسطة زمرة قليلة
من أبناء الخضراء استطاع أبو الذهب
السيطرة على أهالى الخضراء، التاريخ يعيد
نفسه!... قال ذلك أحد أبناء الخضراء
لجاره وهو يلتفت خوفاً من أن يسمع أحد
كلامه فيلقى به فى السجن وأضاف: عاد
الظلم والحاكم الظالم. فى الماضى كنا
نواجه رجلاً بعينه، أما الآن فإننا نواجه
بعضنا البعض... الحاكم الظالم غير
محسب هذه المرة فى شخص بعينه إنه
القانون... قانون دولة أبى الذهب وليس
أبى الذهب نفسه والظلم يمارس على
الشعب باسم الشعب.

كان أهالى الخضراء يعيشون صدمة
الفوضى التى عصفت بهم . ويتذكرون
مستنقعات الدم والجرائم التى ارتكبت
بالخضراء والتى بقى مقترفوها
مجهولين . . . القتلة الحقيقيون لم يسجن
أحد منهم . . . من المسؤول عن جنون
وضحا . . . وشلل خالد؟ لمن تجمع
الأموال والضرائب من أبناء الخضراء؟
باسم أى شعب يسجن الأبرياء ويغرم
الفقراء؟ من وضع المسؤولين فى موقع
المسؤولية؟ من هم الرجال الموجودون
فى قصر أبى الذهب؟ أى عدل هذا؟

هذه الأسئلة وغيرها بدأت تراود أبناء
الخضراء . . .

أفاقت الخضراء على قصاصات من
الورق وزعت فى أحيائها تحمل عبارات:

تسقط دولة أبى الذهب
الشعب هو صاحب الحق بإصدار
الحكم...

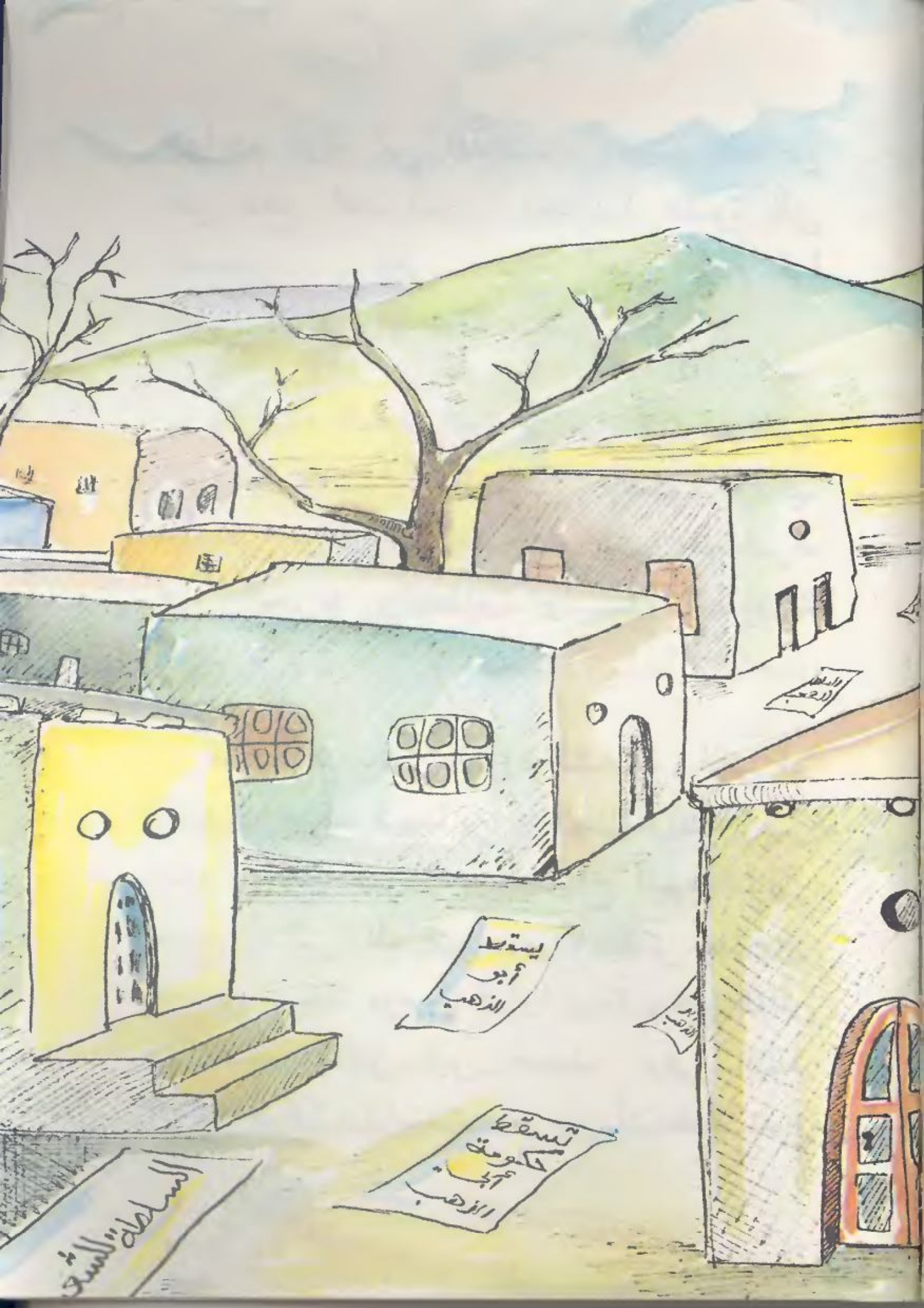
الشعب كله مصدر السلطة
لا سلطة فوق سلطة الشعب
يا أهالى الخضراء.. امتنعوا عن
دفع الضرائب

قرأ أهالى الخضراء هذه العبارات
بارتياح كبير.. وبدأوا يجهرون بالرفض
لبعض أوامر أبى الذهب.

قال مرشد لسيده أبى الذهب: أفاق
أهالى الخضراء من سباتهم، والحرب
أولها الكلام. أجاب أبو الذهب:

لم تزل نار الفتنة والانقسام تحت الرماد
وباستطاعتى إشعالها متى شئت.

تكرر توزيع المنشورات السياسية التى



تهاجم دولة أبى الذهب، وامتنع البعض
عن دفع الضرائب. فحملوا عنوة إلى
السجن... وفى صباح أحد الأيام قرأ
أهالى الخضراء نداءً موجهاً إليهم:

يا أبناء الخضراء، يا من كسرتم قيود
العبودية والذل والهوان، إكسروا باب
السجن وحرروا السجناء... الخضراء
هى الحرية والعطاء. وليست العبودية
والظلام.

كان ذلك نذير بالثورة الشعبية. لكن أبا
الذهب عرف كيف يزرع الفتنة ويفرق بين
أبناء الخضراء... فى صباح اليوم التالى
سمع أهالى الخضراء بياناً يذكر باغتيال
محمود وبعد يومين قرأوا بياناً يدعو للثأر
من قتلة الطفل ابن حميد. وفى اليوم
الرابع قرأوا بيانات تحذر من أن هناك من

يريد العودة إلى الفوضى وسفك الدماء
باسم الحرية والشعب . . .

قام بعض الشباب فى الخضراء بتوزيع
منشورات تدعو إلى مؤتمر شعبى عام .
وقد قوبلت هذه الدعوة بالاستحسان
والترحيب من قبل معظم الجماهير الشعبية
فى الخضراء . قال أبو الذهب لمرشد :
هذا هو الخط الأحمر الذى لا يجب أن
يتجاوزه أهالى الخضراء . . . فرّق تسدّ يا
مرشد .

نزلت تظاهرة من أنصار أبى الذهب
إلى الشوارع . تهتف بحياة أبى الذهب
ودولته . وخرج معارضوا أبى الذهب
بتظاهرة ينادون بمؤتمر شعبى وبسلطة
الشعب . . . حصلت المواجهة بين
المتظاهرين . سقط بعض القتلى

والجرحى تدخلت دولة أبى الذهب . . .
وصدر البيان التالى :

يا أبناء الخضراء . إن ما جرى فى
الخضراء هو مؤامرة على قلب نظام
الحكم وتقويض أسس الدولة وهو مضر
بمصلحة الجماهير الشعبية، لذلك قررت
الدولة إعلان حالة الطوارئ . تمنع
الاجتماعات والتظاهرات وتوزيع
المنشورات . وتخضع الصحف للرقابة،
على أن تقام انتخابات بعد ستة أشهر، يتم
فيها انتخاب ممثلين عن الشعب، لتأسيس
المجلس النيابى .

التوقيع : رئيس الدولة : أبو الذهب .

Bibliotheca Alexandrina



0385460



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 40705 - 45565 - 45594

مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK

ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية

500 درهم ليبي أو ما يعادله